الأدب الاسلامي في عصر النبوة

الدكتور يحيى وهيب
أستاذ مشارك
بكلية التربية ـ جامعة بغداد

مكتبة قسم اللغة العربية
كلية الآداب

مكانة ادب صدر الاسلام :

تعد فترة صدر الاسلام أفضل وأقدس فترات التاريخ الاسلامي، ولها في نفوس المسلمين مكانة سامية فضلى ، ذلك انها فترة الرسالة والوحي ، فترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته أئمة المسلمين وقادتهم ، وهي بعد ذلك نقلة كبرى في حياة العرب من عهد راكد محافظ ضال الى عهد دين وهدى وايمان ، وحضارة جديدة تبوأت مكانتها الرفعية بين حضارات العالم ونظمه .

ولم يحظ عصر من عصور الدنيا بقدسية واجلال ، مثل ما حظى به عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك لان عهد الرسول وصحابته من بعده هو المثل الاعلى والاكمل لنظام الحكم والادارة والعبادة والحياة . ولذلك فقد نالت هذه الفترة من العناية والرعاية والدرس والفحص والتمحيص ، ومن النقد والتحليل ، ما لم تنله فترة اخرى في التاريخ العربي وغير العربي . فقد قامت الدراسات الواسعة الضخمة العديدة منذ فجر التاريخ الاسلامي على يد ابناء هذه الامة ، مبتدئة بجمع القرآن وحفظه وتفسيره وضبط كلماته ، ومرتقية الى علوم الاعجاز واللغة والفلسفة والطبيعة وما وراء الطبيعة ، وما يستتبع ذلك من علوم وفنون . وقد تساندت هذه الدراسات وتشعبت ،

ودرس هذا العصر العرب والمستعربون ، المسلمون وغير المسلمين ، انصار الاسلام واعداؤه ، وما زالت الدراسات المتنوعة المتشعبة قائمة مستمرة ، وستبقى قائمة مستمرة ما شاء الله لها ان تقوم ، وما دام هذا الدين قويا خالدا وما دام لهذه الامة قوة ومكانة ، وفي نفوس ابنائها الغيرة على الدين والحرص على اللغة والحب للتاريخ والرغبة في السعي والدرس والتحقيق .

قلت ان هذه الفترة المقدسة من حياة الاسلام ، نالت العناية والدراسة من كافة مناحيها ، الا انني استدرك واقول ان هناك ناحية بقيت دون عناية ورعاية ، تلك هي الناحية الادبية ، فقد انصرف عنها كثير من الدارسين واهملوها وأغفلوا شأنها ، والتمسوا لذلك عللا واسبابا ، واهمها سببان ، الاول : ما قيل عن خمول شعر الفترة وعدم ازدهاره ، والثاني : ما قيل من ان الاسلام وقف بوجه الشعر والشعراء . واذا كنا نريد ان نضع الامور في مواضعها ، وندرس الادب الاسلامي الذي هو سجل الامة ونشيد امجادها وصورة عواطفها وفكرها ، فلابد من الرجوع الى المنهل الاصيل والنبع الصافي الذي استقى منه المتأخرون نهجهم وجعلوه قدوتهم ، وذلك هو عصر الادب الاسلامي الاول في عهد رسول الله وخلفائه الراشدين ، ولابد كذلك من مناقشة الزعم القائل بضعف الشعر وانصراف الشعراء عنه ، وتفنيد الزعم القائل بأن الاسلام قد عاق مسيرة الشعراء وغض من شعرهم .

ضعف الشعر :

ولنستعرض اولا حجج الذاهبين الى نظرية ضعف الشعر وركوده ، وهم جمهرة كبيرة من الكتاب ومؤرخي الادب ، تناقلوا الاقوال دون تروٍ او امعان . وقد اعتمد هؤلاء ـ وما زالوا ـ على عبارة لابن سلام الجمحي في رواية الشعر ، نقلها عن عمر بن الخطاب

رضى الله عنه ، تقول الرواية[1] : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه » وهذا أمر صحيح كل الصحة ، ثم يقول ابن سلام : « فجاء الاسلام فتشاغلت عنه [أي الشعر] العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهيت عن الشعر وروايته » وهذا امر لا نذهب اليه . وكذلك يقول ابن خلدون في مقدمته[2] : « ثم انصرف العرب من ذلك [أي عن الشعر] اول الاسلام بما شغلهم من امور الدين والنبوة والوحي ، وما ادهشهم من اسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا » . وكذلك يزعم جرجي زيدان[3] ان الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين هنه بالفتوح .

وينسى من ذهب هذا المذهب ان الفتوح التي شغلت المسلمين كانت دافعا من دوافع نظم الشعر ، وكان الشعر سلاحا من اسلحتها الماضية ، سواء أكانت الغزوات الاسلامية زمن رسول الله أم الفتوح الكبرى زمن الخلفاء الراشدين ، اذ ان معارك بدر وأحد والخندق وقريظة وفتح مكة وحنين والطائف والردة وفتح العراق والشام وغيرها ، خلفت شعرا كثيرا قاله الشعراء المسلمون وناقضهم فيه الشعراء المشركون ، وكانت المعارك هذه من اسباب دوام الشعر وازدهاره ، فهو ينظم تحميسا للمقاتلين ودفاعا عن الاعراض وهجاء للخصوم ورثاء للقتلى واشتفاء بصرعى الاعداء ، وكان رسول الله يشجع الشعراء ويوجههم الوجهة التي تخدم الدعوة الاسلامية ، فالشعر سلاح ماض من اسلحة الحرب ، ثم ان الشعر ملكة من الملكات الاصيلة التي عرف بها العرب واحبوها ، فلا يستطيعون لها تركا ولا عنها انصرافا ، وصدق رسول الله اذ قال[4] : « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين » .

ويذهب فريق آخر الى ان الشعر ضعف وخمل لان الدين غض من قيمته وأهمل شأن الشعراء ، وان القرآن الكريم وصفهم بالطيش

والغواية والكذب في قوله تعالى[٥] : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » ويسكت هؤلاء عن استثناء الصالحين في قوله تعالى بعد ذلك : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

وحاولوا ان يربطوا بين موقف القرآن الكريم من شعراء الغواية والضلال ، وبين اعراض بعض الشعراء الزاهدين عن الاستمرار في قول الشعر ، فقالوا : ان شاعرا كبيرا مثل لبيد بن ربيعة هجر الشعر ولاذ بالصمت — ان صحت الرواية وهي غير صحيحة — وشغل بقراءة القرآن . ومما يذكر هنا ايضا ان الاسلام حرم أكثر الاعمال التي يجود فيها الشعراء وتنشط القرائح كذكر الخمر ومغازلة النساء واثارة الضغائن والاحقاد ، وقد تغيرت الحياة العامة في الاسلام ، وتغيرت تبعا لذلك الدوافع التي تشجع الشعراء ، فالاكرام والتشجيع الذي كان يلقاه الشعراء — وبخاصة حسان بن ثابت — من ملوك الغساسنة وأمراء الجزيرة وأصحاب الثراء فيها ، قد حل محله زجر عمر عن المديح الكاذب والقول الذي يثير الحفائظ ويمس الاعراض .

تلك هي اهم الاسباب التي يقدمها الاخذون بنظرية ضعف الشعر والتي تغض من شأن الادب الاسلامي في أصوله الاولى وتجعله ضعيفا خاملا منزويا لا أثر له في حياة العصر او حياة العصور التالية اموية او عباسية او حديثة . وحقا ان بعض الحجج التي قدمها الكاتبون وجيهة ومعقولة ، فالاسلام منع الغزل المكشوف والهجاء المقذع والفخر الجاهلي والعصبية والخمرة ، ولكن هذه ليست كل الشعر وليست كل فنونه ، فاذا كان الاسلام قد منع هذه الاغراض التي تخالف تعاليم الدين ، فانه فتح للشعراء افاقا جديدة في الحياة الاسلامية الجديدة وما فيها من حب وعدل وخير وهدى وتقوى وايمان ، فأقبل الشعراء على الدنيا وتطلعوا الى نعيم الآخرة ، وعبروا عن أماني

المسلمين بشعر زاه مزدهر قوي كثير الفنون واسع الاغراض ، فقد دفع الاسلام الشعر في دعوته ، ووجهه في اغراضه ، واقتحم الشعر اتون المعركة الاسلامية بين مكة والمدنية اولا ، وبين المسلمين والمرتدين ثانيا ، وبين المؤمنين الفاتحين والامم المشركة المجاورة لها ثالثا ، وشارك الشعر في شؤون الحياة الاسلامية كافة ، فوصفها وصورها ومثلها على قدر ما أتيح له من معرفة بكتاب الله ومعانيه وآدابه وصوره التي أفاد منها فائدة كبيرة .

وقد كان موقف الاسلام من الشعر والشعراء ايجابيا ـ على غير ما يشاع وما أكثر الشائع المخطوء ـ فقد وجهه وشجعه حين كان التشجيع في صالح الامة ، وغض منه بعض نزواته ، وردع فيه غلوه وحميته ، وهذبه ليستطيع ان يساير خلق الدين ويواكب معركة الاسلام . ولكي نكون على بينة من حقيقة موقف الاسلام من الشعر والشعراء ، لابد من القاء نظرة ـ ولو سريعة ـ على ما اباحه الاسلام من الشعر وما حرمه على الشعراء .

موقف الاسلام من الشعر .

نستطيع ان تتبين النظرة الدينية للشعر مما جاء في كتاب الله والاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتب الحديث والادب وفي آثار الصحابة الكرام وبخاصة الخلفاء الراشدون ، ناظرين الى الفترة الزمنية وحاجة المسلمين وظروفهم ، فعلى ضوء ذلك وجه الاسلام الشعر ووقف منه ، فالاسلام قد اتخذ من الشعر مواقف تنسجم وطبيعة المرحلة التي شهدتها الدعوة .

اذا تتبعنا ما ورد في كتاب الله من ذكر لكلمة شعر وشاعر ، نجد ان القرآن الكريم ينزه الرسول عن قول الشعر ، ويدفع مزاعم المشركين الذين زعموا أن القرآن شعر او ضرب من الشعر ، قال تعالى[٦] : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » ، وترد كلمة (شاعر) في سياق حكاية مزاعم قريش من ان

الرسول شاعر ، وقد نزه الله رسوله عن ذلك الوصف ، قال تعالى[٧] : « بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر » . وقوله[٨] : « ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » . « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون »[٩] . « وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون »[١٠] . فالقرآن الكريم ينزه الرسول عن قول الشعر في أكثر من موطن ، وقد رد على مزاعم المشركين من ان القرآن قول شاعر ، وقد وبخهم ووصفهم بقلة الايمان . ترى ما السبب في ذلك ؟ هل هو الزراية على الشعر والشعراء لعيب كان فيهم ووصمة ملازمة لهم ؟ أم غير ذلك ؟

لعل الحكمة في تنزيه الرسول عن قول الشعر ، وعن ان يكون شاعرا، أن الله سبحانه قد وصف الشعراء بالطيش والسفه وبأنهم قوالون غير فعالين ، والظاهر ان الشعراء معروفون منذ القدم بالغلو والكذب والتهويل ، فاذا مدحوا جاوزوا الحق وأفرطوا باضفاء الصفات الفخمة على من يستحقها ومن لا يستحقها ، واذا خاصموا هجموا بالقول اللاذع والعبارة المقذعة ، يصوغون من الصفات ما قبح وآذى ، ليكون أبلغ في الايلام .

ثم انهم منذ القديم يتعرضون لاعراض الناس وحرماتهم ، فيصفون الخلوات المريبة الشائنة ، وذلك ـ او بعض ذلك ـ لا يليق برسول اصطفاه الله من بين خلقه ليكون قدوة واماما وقائدا ونذيرا ونبيا ، وقد ذكر السيوطي تعليلا فيه بعض الوجاهة ، قال[١١] : « ان علماء العروض مجمعون على انه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الايقاع ، الا ان صناعة الايقاع تقسيم الزمان بالنغم ، وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة ، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الايقاع ، والايقاع ضرب من الملاهي ، لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما انا من دد ولا دد مني » .

واذا كان ذكر الشعراء قد جاء في القرآن الكريم في معرض الغض والتهوين في قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون » الآيـــة ، فالمقصود بالشعراء هنا المشركون الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهاجوهم • ولم يكن معنى الآية لينصرف الى كـل الشعراء ، بدليل استثناء الصالحين في قوله تعالى : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات •• » • وظاهر الحال ان المقصود بهؤلاء الذيـن آمنوا هم شعراء الرسول ، حسان بن ثابت ورهطه الذين نصـــروا رسول الله بالسيف كما نصروه باللسان ، ودافعوا عنـه ، وأجـابوا المشركين • ودليلنا على ذلك ان النبي الكريم كان يقول لحسان[١٣] : « اهجهم [يعني المشركين] ومعك جبريل روح القدس » ، وكـذلك يقول لكعب بن مالك ، كما كان يثنى على عبدالله بن رواحـــة • وجبريل ـ بطبيعة الحال ـ لا يكون الا مع الصالحين الذين آمنـوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا •

فالقرآن الكريم قد نزه النبي عن ان يكون شاعرا ، كما تنـزه القرآن الكريم ان يكون شعرا • والشعراء قد حددهم القرآن ، فمنهم الموصوفون بالطيش والغواية ويتبعهم الطائشون الغاوون ماداموا يهيمون في كل واد ، ومنهم الصالحون المؤمنون الذين ذكروا الله كثيرا وهم الذين ساروا في طريق الهدى والايمان وقد كتب لهم النصر بعد الظلم •

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاءت مواقفه من الشعر والشعراء تطبيقا لما جاء في كتاب الله ، فهو يذم الشعر الذي يدعو الى غواية وضلال ، وينتقص منه ومن شأن قائليه ، وذلك هو الشـــعر الذي يجافى تعاليم الدين واخلاق الاسلام • وهذه الاخبار التي فيها غض من الشعر قليلة معدودة • وترد أخبار أخرى وهي كثيرة فيهـا اعجاب النبي بالشعر واستماعه وطلب روايته • وتروى له اقوال نقدية في بعض الشعر فيها توجيه وتقويم وتشجيع للشعراء •

فأما ما كان من الضرب الاول ، فقد روى ان رسول الله صلـى

الله عليه وسلم قال[١٣] : « لأن يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعرا هجيت به » • وروى عنه في ذكر امرىء القيس انه قال[١٤] : « ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسى في الاخره خامل فيها يأتي يوم القيامة معه لواء الشعر الى النار » • ومعروفة هي حياة امرىء القيس العابثة الماجنة حيث يسمو الى جاراته (سمو حباب الماء حالا على حال) • وروى عنه عليه السلام انه قال مجيبا الرجل العامري الذي كان يسأله عن حقيقة نبوته ، فمما قال[١٥]: « ... ثم انها ولدتني فنشأت ، فلما نشأت بغضت الى أوثان قريش ، وبغض الى الشعر ، وكنت مسترضعا في بني ليث بن بكر ... » • ولكل من هذه الروايات وغيرها تعليل ينسجم وما جاء به القرآن الكريم من تنزيه النبي عن قول الشعر ، ومن حكم على صنف من الشعراء ، اولئك الذين اتخذوا الشعر لهوا ووسيلة للعبث والمجون ونهش الاعراض واثارة الضغائن والاحقاد والمديح الكاذب والفخر المتعالى بالأحساب والانساب لا بالعمل الطيب ، وذلك شعر الصمت خير منه لانه دعوة الى منكر •

وأما قوله عليه السلام : « وبغض الى الشعر » ، أي قول الشعر، فلم يكن الرسول شاعرا ، كما نصت الآية الكريمة : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ، اذ لو كان شاعرا لوجب ان يسير في نهج الشعراء ، ولنسب العرب فضيلته وحجته البالغة الى تأثير الشعر لا الى نبوته ورسالته ، ولا يكون بعد ذلك الكلام الذي يلقى اليه وحيا من عند الله بل الهاما من شيطان الشعر ــ وما أكثر شياطين الشعراء •

ولامر ما كانت الحكمة في ان الرسول ما روى بيت شعر كاملا ، فكان عليه السلام يتحرج من روايته صحيحا او كان يروى شطر البيت صحيحا ويسكت عن اتمام الشطر الآخر • روى في خبر كعب بن زهير عند اسلامه ومثوله بين يدي النبي انه قال : انت الذي تقول ، ويلتفت الى ابي بكر الصديق يسأله : « كيف قال يا أبا بكر » ،

وينشده ابو بكر شعرا لكعب ، حتى اذا بلغ قوله :

سقاك ابـو بكـر بكأس رويـة
وأنهلك المأمـون منهـا وعلكـا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مأمون والله »[١٦] .

او كان النبي حين يريد استماع بيت او ابيات يبدأ بالكلمة الاولى ليتم الشاعر ما يريد الرسول . روى انه لما أخبر بهجاء أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، قام عبدالله بن رواحة مستأذنا رسول الله في هجاء أبي سفيان والدفاع عن اعراض المسلمين ، قال له النبي[١٧] : أأنت الذي تقول : (فثبت الله) ، ولم يتم رواية البيت . قال عبدالله : نعم يا رسول الله أنا الذي أقول :

فثبت الله ما اعطـاك من حسـن
تثبيت موسـى ونصرا كالذي نصروا

فقال : « وأنت فعل بك مثل ذلك » . قيل : فوثب كعب بن مالك فقال : يا رسول الله ائذن لي ، فقال : أنت الذي تقول[١٨] : (همت سخينة) ، قال نعم يا رسول الله انا الذي اقول :

همت سخينـة ان تغالـب ربهـا
وليغلبـن مغالـب الغـلاب

فقال عليه السلام : « ان الله لم ينس ذلك لك » . ومما يتعلق بهذا البيت ما روى ان كعبا سأل النبي قائلا : « يا رسول الله ، ماذا ترى في الشعر ؟ » فقال عليه السلام : « ان المؤمـن يجاهـد بسيفه ولسانه » ثم قال له : « أترى الله عز وجل نسى قولك : (همـت سخينة) » . فنلاحظ ان الرسول الكريم لا ينشد الشعر وانما يكتفى بأن يذكر الكلمة الاولى ليتم الشاعر ما يريده الرسول ، مع انه في الوقت نفسه يدعو للشاعر ويشجعه . وكان النبي يتمثـل بانصاف الابيات حتى لا يتحقق كونها شعرا ، كما فعل ببيت لبيـد ، حيث قال[١٩] : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد » :

الا كل شيء ما خلا الله باطل

فأتى بالشطر صحيحا وسكت عن اكمال البيت .

او كان الرسول يتمثل ببيت شعر دون ان يقيم وزنه ، كما فعل ببيت طرفة :

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فقد قرأ الشطر الثاني : ويأتيك بالاخبار من لم تزوده ، او ويأتيك من لم تزوده بالاخبار .

وتروى كتب الادب بيتين موزونين ، تزعم ان النبي عليه السلام قالهما ، الاول ما قيل انه لما دخل الغار عند الهجرة أصابت الحجارة اصبعه ، فدميت فقال[٢٠] :

هل أنت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

والثاني ما روى أنه يوم حنين كان يقول :

انا النبي لا كذب انا ابن عبدالمطلب

ويعقب ابن عبد ربه على هذا بقوله : « فهذا من المنثور الذي يوافق المنظوم ، وان لم يتعمد قائله المنظوم ، ومثل هذا في كلام الناس كثير يأخذه الوزن »[٢١] .

هذا موقف الرسول بالنسبة لقول الشعر او روايته ، فقد نزهه الله تعالى عن قول الشعر وعن وصفه بالشاعر ، فكان لذلك ينزه نفسه عن انشاد الشعر والتمثل به تام الوزن كاملا .

أما موقفه من شعر الشعراء فقد رأى انه فن من الفنون الجميلة فيه تهذيب ودعوة الى فضيلة ومكرمة ، وفيه حكمة وموعظة وتدعيم لمبادىء الاسلام . فكان عليه السلام مشجعا لكل ذلك ، موجها تارة ، ومتخذا الشعر سلاحا من أسلحة الحرب تارة اخرى ، وما دامت قريش قد اصطنعت الشعر وسيلة من وسائل حربها فان الرسول الكريم قد دفع الشعراء ليقولوا لهم مثل ما يقولون ، لان شعر

المسلمين كان في المشركين أشد من وقع النبال في غلس الظلام • هـذا شيء ، وشيء آخر فقد كان رسول الله ينظر للشعر على انه ملكة من الملكات الفنية التي اشتهرت بها العرب واحبتها وولعت بها ، وصارت بعضا من فكرها وذات أثر فعال في نفسيتها • والرسول نفسه يقول[٢٢]: « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين » • ومن قوله عليه السلام ايضا[٢٣] : « ان من الشعر لحكمة » • فما كان الرسول الكريم ليعطل ملكة اشتهر بها قومه وأحبوها ونبغوا فيها • ومن الشعر كلام طيب رفيع المكانة جليل القصد ، وقد قيل ان النبي كان يقول[٢٤] : « انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه » •

وكذلك قيل : « انما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب » •

وكان النبي حريصا على ان يتجه الشعراء بشعرهم نحو تمثل المفاهيم الاسلامية ونشر المثل الجديدة التي تنأى عن التمسك بضلالات الجاهلية وعصبياتها لئلا يكون في الشعر عبث ومجون • فاذا ما شعر رسول الله ان هناك ميلا لترديد المثل الجاهلية نبه وعاتب ووجه • انشد النابغة الجعدي رسول الله قوله[٢٥] :

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيّرا
بلغنا السما مجدا وجودا سؤددا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فيشعر النبي ان الشاعر نزع الى فخر الجاهلية فيسأله : الى أين يا أبا ليلى ؟ فيجيبه : الى الجنة يا رسول الله • فيعجب النبي جوابه الذي ظهر فيه تهذيب الاسلام فيقول الرسول : « الى الجنة ان شاء الله » • ثم ينتهي النابغة الى قوله :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له
بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما اورد الأمر أصدرا

ناظرا في ذلك الى قول الله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » • والى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » ويعجب النبي بفهم النابغة ــ وهو البدوي ــ لمفاهيم الاسلام ويدعو له بقوله : « لا يفضض الله فاك » ، ويقول الرواة انه عاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض للنابغة سن •

وكان اذا سمع كعب بن مالك ينشد قوله(٣٦) :

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة
مدربة فيها القوانس تلمع

وجهه وجهة تناسب تعاليم الاسلام فيقول له : « لا تقل عن جذمنا وقل عن ديننا » ، فكان كعب يقرأ كذلك ويفخر بذلك ويقول : « ما أعان رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا في شعره غيري » •

وقد أفاض الكتاب القدامى بذكر أخبار الشعراء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهه لهم وتقويمه شعرهم وتشجيعهم واعطائهم ، وما ذكر كعب بن زهير صاحب البردة ببعيد • وكذلك ذكر العباس بن مرداس والنابغة الجعدي وبجير بن زهير وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وقتيلة بنت النضر بن الحارث وعمرو بن سالم الخزاعي وغيرهم كثير •

وكذلك الشعر الجاهلي وجد من النبي قبولا ، فكان يعجبه منه ما كرم وسما وتمثل بالخلق الفاضل وتمدح بمكارم الاخلاق ، كان يحب شعر عنترة ، وعنترة هو الذي يقول (٣٧) :

وأغض طرفي ان بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأواها

وهذا من اخلاق الاسلام ، يوافق قول الله تعالى : « قل للمؤمنين

يغضوا من أبصارهم » • وينشدونه قول عنترة ايضا[٢٨] :

ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل

فيعجبه ايثار عنترة وسماحة نفسه ، حتى انه ليقول : « ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه الا عنترة » • ويسمع قول لبيد بن ربيعة وفيه ما فيه من أقباس الاسلام وروحه[٢٩] :

الا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

فيقول عليه السلام : « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد » • ويسمع شعر طرفة بن العبد وأمية بن ابي الصلت والخنساء وسويد بن عامر المصطلقى فيعجبه ذلك • ودخل بيته مرة فاذا عائشة تنشد من شعر زهير بن جناب[٣٠] :

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه
يوما فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك او يثنى عليك فأن من
أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فيقول عليه السلام : « صدق يا عائشة ، لا يشكر الله من لا يشكر الناس » •

والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جوانب سيرته لذيذ مشوق يسعد المتحدث ويملأ القلب رضا وهدى وسعادة •

والذي أخلص له ـ بعد ذلك ـ ان رسول الله قد تعهد الشعراء المؤمنين بالرعاية والتشجيع والتوجيه ، وجند مواهبهم في سبيل الدعوة الاسلامية ونشر مبادئها وتثبيت مفاهيمها وقد وضع الدين معيارا جديدا لجيد الشعر او رديئه ، ذلك هو النهج الخلقي الذي دعا اليه الاسلام ، فما اتفق وخلق الاسلام ووائم روح الدين كان من الشعر في الصدارة ، وما خالفه وخرج عليه كان شرا مستكرها هو كالقبيح الذي

يفسد القلب .

وقد استمد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرتهم للشعر مما جاء في كتاب الله وما عرفوه من سيرة رسول الله ومواقفه من الشعر والشعراء ، وبخاصة الخلفاء الراشدون . يروى ان الحسن البصري سئل يوما[٣١] : أكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزحون ؟ قال نعم ، ويتقارضون من القريض وهو الشعر . وقال ابو سلمة[٣٢] : لم يكن اصحاب رسو الله صلى الله عليه وسلم متحزقين ولا متماوتين ، كانوا ينشدون الاشعار ويذكرون أمر جاهليتهم ، فاذا اريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون » . ولم يعرض احد من اصحاب النبي عن الشعر ، وهو ديوان العرب ، ما دام الاسلام لم يقطع بينهم وبين أشعار الجاهلية واداب الماضين . وقد وجدوا ان الرسول الكريم يسمع أحاديثهم فلا ينكر عليهم ذلك . حكى جابر بن سمرة قال[٣٣] : « جالست رسول الله صلى الله عليه اكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الاشعار في المسجد وأشياء من أمر الجاهلية فربما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

أما الخلفاء الراشدون فقد كان الشعر في عهدهم زاهيا مزدهرا ، وكانوا مقبلين على الشعر مشجعين للشعراء يوجهونهم الوجهة الاسلامية ويتعهدونهم بالرعاية والتسديد . وقد قيل ان ابا بكر وعمر وعليا كانوا انفسهم شعراء ، وقد نسب لهم شعر . ولا اريد هنا ان أمضى في عرض حياة الشعر زمن الخلفاء الراشدين فالحديث يطول[٣٤] .

وارجو بعد هذا ان أكون قد دفعت عن الاسلام الزعم القائل بانه عاق الشعر ووقف بوجه الشعراء وكان سببا في ركود شعر الفترة الاسلامية . فالاسلام أخذ بيد الشعر ، والشعر قد نشط في عهد النبوة والراشدين وظهر حافلا مزدهرا زاهيا . ولننظر بعد ذلك في حال الشعر وبيئاته في هذا العصر .

بيئات الشعر الاسلامي :

لا شك ان الهجرة الى المدينة قد جمعت قوى المسلمين في معسكر واحد ، يمثله الشعر الاسلامي الذي ينطق بلغة الدين الجديد المتأثر بمعاني القرآن والفاظه • وتجمعت ضد هذا المعسكر قوى الدين القديم المتمسك بضلالات الجاهلية • فتزعمت مكة ـ يوم كانت على الشرك ـ هذا المعسكر ، ومثل شعراؤها هذه الافكار ، وقد انضم الى مكة شعراء الطائف والقرى اليهودية ، التي تجمعها مع المشركين رابطة العداء للدين الاسلامي الحنيف • وقد بقي هناك شعر كثير بمعزل عن هذا الصراع بين التيارين في اول الامر ، ذلك هو شعر البادية الذي هو امتداد للشعر الجاهلي وبقية منه ، وان لم يطل العهد بهذا الشعر حتى شارك كثرة شعرائه في احداث العصر الكبرى •

فأما الشعر الاسلامي ، فهو شعر الانصار اولا ، وشعر المهاجرين ثانيا ، وقد كان شعر الانصار في المدينة أجود الشعر وأكثره تمثيلا للاداب الدينية واستجابة لمبادىء الاسلام ، وقد نبغت المدينة بين القرى العربية في الجاهلية ، وكان لشعرائها المكانة الكبرى في الاسلام • وقد برز في الاحداث الاسلامية ثلاثة نفر كلهم من الخزرج ، حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة • أما الاوس فقد كان لها شاعران ، هما : قيس بن الخطيم وابو قيس بن الاسلت ، وكلاهما لم يكن له حظ في الاسلام ، فقد هلكا عند الهجرة او قبلها بقليل •

ويصح ان يقال ان شعراء الخزرج الثلاثة هم الشعراء الرسميون للدولة الاسلامية انذاك ، حيث كانوا المعبرين عن أماني المسلمين المدافعين عن أعراضهم ، الممثلين لوجهة النظر الاسلامية •

أما المهاجرون فقد عرف شعرهم منذ أول البعثة وبخاصة حين أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه بالهجرة الى الحبشة اولا ثم الى المدينة ثانيا • وقد عرف من هؤلاء عبدالله بن الحارث السهمي ، وعثمان بن مظعون ، وعبدالله بن جحش ، وأخوه ابو احمد عبد بن

جحش ، ومن النساء صفية بنت عبدالمطلب ، وهند بنت أثاثة ، ونعم بنت سعيد .

وقد أفاد الشعراء المسلمون من كتاب الله الذي يقرؤونه ويتدارسونه ، فظهرت ألفاظه ومعانيه في شعرهم حين ينظمون في الاحداث الكبرى ، فقد بدأت الصيغ والالفاظ القرآنية تشيع في شعرهم من مثل ، المسلم ، والكافر ، والبر ، والفاجر ، والمؤمن ، والضلال ، والهدى ، والجنة ، والنار ، والرحمن ، والذين نصروا الاله، والبر الحنيف ، وغير ذلك . وكانت جهود رسول الله في توجيه الشعراء وتسديد خطاهم وتقويم شعرهم قد سدت النقص في شعرهم ودفعت بمواهبهم لتتفتق بمعان دينية جديدة ، فغدا المعنى الاسلامي يتضح في الشعر كلما قدم بالشاعر عهده بالاسلام ، وصارت الشخصية الاسلامية تتميز عن شخصية الشاعر الجاهلي . فبعد ان كان الفخر في الحرب مثلا بقوة العدة والعدد وبلاء القبيلة وكسب المغنم وسبى العدو ، صار الفخر في شعر المسلمين بنيل الشهادة في سبيل الله ، وانتصار جند الله على اعداء الله المشركين ، وصار الكسب كسب رضوان الله ورسوله لا كسب الشاة والبعير .

وكان طبيعيا بعد ذلك ان يكون اسلوب الشعر خاضعا للمعنى الجديد ، فغدت لغة الشعر سهلة لينة ، ابتعدت عن خشونة الكلمة الجاهلية ، وصعوبة تركيب عبارتها ، ولذلك فليس من الغريب ان يلين شعر حسان ، ويسلس شعر كعب بن مالك ، أما عبدالله بن رواحة فيكاد يكون شعره كلام المتخاطبين ، وهو حديث النفس المؤمنة التي تفصح دون اعياء او تعقيد .

وكان لجودة هذا الشعر وخصبه ان ساهم مساهمة فعالة في نشر الاسلام واخضاع المشركين والمتمردين على الدين ، فيكفي ان يتفوق حسان بن ثابت على شاعر تميم ليسلم ذلك الوفد ويشهد رجاله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤتى له . كما ان ابياتا قالهن كعب

ابن مالك كانت سببا في اسلام دوس ، وذلك بعد الفراغ من (حنين) حين أجمع النبي السير الى الطائف ، منها قوله[٣٥] :

قضينا من تهامـــــة كـــل ريب
وخيبـــر ثـــم أجممنـــا الســـيوفا
نخيرهـــا ولـــــو نطقت لقالت
قواطعهـــن دوســـا او ثقيفـــا

وقال ابن سيرين في هذا : « فبلغني ان دوسا انما اسلمت فرقا من قول كعب : قضينا من تهامة ..، فقالت : انطلقوا فخذوا لانفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف » .

وقد كان شعر المسلمين سيفا مصلتا على رقاب المشركين ، وسلاحا بيد رسول الله يخضع به اعداء الدين .

لقد طرق الشعراء المسلمون أكثر فنـون الشعر ، وان تميز فـن الرثاء بين الفنون الاخرى ، لكثرة من استشهد من المسلمين في المعارك التي دارت بينهم وبين مشركي قريش ، او بينهم وبين اليهود ، ثم رثاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة ، وكان لحمزة عم النبي النصيب الاوفى من ذلك الرثاء . ولم يكن شعر الرثاء الا صورة من صور الدعوة الى الدين ونشر الافكار الاسلامية ، لان شعراء المسلمين كانوا يمزجون رثاء القتلى بثواب الآخرة والتنعـــم بجنـان الخلد ، والشهادة في سبيل الله أسمى غاية يسعى اليها المسلم . فالروح المعنوية لدى المسلمين قوية ظاهرة ، ولم تتح هذه الناحية للمشركين ، فلم يجدوا التبرير المقنع لقتل اصحابهم ، ولم يكن امامهم الهدف السامي البعيد الذي ترتبط اليه نفوسهم .

وقد وقف ضد هذا الشعر يجيبه ويناوئه ويعاديه شعر المعارضة[٣٦] في مكة والطائف والقرى اليهودية ، فأما مكة فقد حباها الله مكانـة دينية مقدسة ، وقد أفاد المكيون من وضع مدينتهم الديني والتجاري ، فمكثوا آمنين من الغزوات والحروب ، واذا كان هذا الوضع الآمـن

قد جنب المكيين الحزازات والمنازعات ، فانه من ناحية ثانية كان سببا في ضعف شعرهم وقلته ، واذا كان لشعراء مكة شعر قبل الاسلام ، فهو شعر قليل ليس بذي خطر كبير ، فلم يحفل به النقاد القدامى .

وقد برز شعر مكة في الاسلام ابان الحروب الاسلامية ، فنهض شعراؤها يحملون راية النضال ضد الدين الاسلامي ، ويقاتلون دون دينهم الموروث وتقاليدهم القديمة ، وأبرز شعراء مكة انذاك ، عبدالله ابن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب ، وابو سفيان بن الحارث ، وهبيرة ابن أبي وهب ، وكلهم عرف بعدائه الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصحابته المؤمنين . ولم يكن هؤلاء شعراء مكة وحسب ، بل ان معركة بدر فتقت القرائح وحفزت الهمم ، فقال الشعر كثرة من الشعراء ، وان كانوا دون اولئك البارزين ، فعرفنا منهم : الحارث ابن هشام ، وابا عزة الجمحي ، وعمرو بن العاص ، وابا أسامة معاوية ابن زهير ، وأبا بكر شداد بن الاسود ، ومسافع بن عبد مناف ، هذا غير مقطوعات وأبيات تسقط لشعراء اخرين .

وكما كان في المسلمين نساء شواعر يرثين القتلى ، ويحرضن على القتال ، فكذلك كان الامر عند المشركين ، فقد أظهرت الاحداث شعرا لشواعر قريش ازدهر بعد معركة بدر خاصة . واذا علمنا ان القرشيين كانوا قد اصطحبوا نساءهم في غزوة أحد ، كان من الطبيعي أن ينشدن الاراجيز في الحث على القتال وتحريض الرجال ، على ان ينالوا من المسلمين مثلما نال المسلمون منهم يوم بدر ، ولمعت في تلك الاحداث هند بنت عتبة ، وصفية بنت مسافر ، وقتيلة بنت النضر ، التي قالت قصيدة من اروع الشعر وأشجاه في عتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقتل أبيها النضر بن الحارث الذي كان أسر وقتل بالصفراء ، فما قالت[٣٧] :

يا راكبا ان الاثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بها ميتا بأن تحيته ... ما ان تزال بها النجائب تخفق

مني اليك وعبرة مسفوحة ... جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته ... أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد يا خير ضنء كريمة ... في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن ... بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق

ويقول الرواة : ان رسول الله تأثر وقال : « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » .

وقد وقفت الطائف الى جانب مكة في عدائها للدين الاسلامي ، وقد عرف في الطائف شعراء ثلاثة ممن أدركوا الاسلام ، هم : أمية بن أبي الصلت ، وأبو محجن الثقفي ، وكنانة بن عبد ياليل . وكان أمية أبرز من صاحبيه ، وأشدهما عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسدا له ، وحقدا عليه . وكان أمية ممن أنكر الاصنام وشك في جدوى عبادتها ، وذهب مذهب الاحناف ، وكان يطمح ان يبعث نبيا ، فلما ظهر النبي عليه السلام كفر به حسدا وبغضا ، وانحاز الى اعدائه المشركين ، يناصرهم ويحرضهم على قتال المسلمين ، يبكي قتلاهم — بعد بدر — ويعظم مصيبتهم في قصيدة يقال ان رسول الله منع انشادها في ذلك الحين ، وهي موجودة في سيرة ابن هشام ، دونها بعد زوال أسباب المنع .

وأما أبو محجن الثقفي ، فعلى الرغم من اشتراكه مع قومه في حرب المسلمين حين حاصروا الطائف ، وأنه أصاب في ذلك اليوم بسهمه عبدالله بن أبي بكر ،على الرغم من ذلك فأن جهده في هذا السبيل لايقوم مقام شعراء المشركين او يعد منهم ، وما أضيف الى شعراء المشركين لما تيه تلك ، بل لان جل شعره كان في الخمرة التي حرمها الاسلام ،

فهي منكر من المنكرات يعاقب الاسلام متعاطيها .

وكنانة بن عبد ياليل ، فارق الاسلام مهاجرا الى الشام حين أسلم قومه ، ولزم الكفر ، وله شعر يرد فيه على كعب بن مالك في حصار الطائف ، وكان قد انضم الى هوازن في حربها ضد المسلمين يوم حنين .

وبيئة ثالثة كانت مباءة للكفر والنفاق ، جدت واشتدت في عدائها للدين وللرسول وللمؤمنين ، تلك هي القرى اليهودية المحيطة بالمدينة والمنبثة على طريق الشام .

ومع ان اليهود اصحاب دين وكتاب ، ومع ان الرسول وضع كتابا اول الهجرة ، ثبت لهم فيه الضمانات الصريحة الواضحة التي تكفل لهم حرية العبادة والحفاظ على أموالهم مع كل ذلك فانهم نقضوا العهد ، ونافقوا ، وحرضوا قريشا على قتال المسلمين ، فكانوا العدو القريب للاسلام ، فحاربهم رسول الله وأجلاهم .

وشعر اليهود الذي مثله كعب بن الاشرف ، وسماك اليهودي ، وجبل بن جوال ، وأوس بن دنى القرظي ، وغيرهم ، ظهر في بكاء قتلاهم من بني قريظة والنضير ، وفي هجاء المسلمين ، والتشبيب بنسائهم ، وفي تحريض المشركين على قتال المسلمين لاستئصالهم .

هذا الشعر بجملته في مكة والطائف والقرى اليهودية ، هو شعر المعارضة الذي وقف يعادي ويهاجي المؤمنين . واذا رحنا تتلمس السمات العامة لهذا الشعر ، نجد أن ما يتصل منه بالاسلام او فيه ذكر له قليل ، والحقيقة ان الذي وصل منه وحفظ هو أقل القليل ، وقلة هذا الشعر مرتبطة بالظروف التي رافقت شعر المعارضة . وهذا الشعر بعامته نشأ وترعرع في ظل الغزوات والحروب القائمة بين المسلمين وأعدائهم ، وقد انتهى دور هذا الشعر بانتهاء تلك الحروب في فتح مكة ، ولم يكتب له البقاء بعد الفتح او في ظل الخلفاء الراشدين ، بل صار جزءا من ادب الاسلام .

ويلاحظ ان هذا الشعر يكاد يخلو ـ الا في القليل ـ من أثر

الدين ، فاذا قرأنا شعر مكة ، وهم اصحاب البيت وسدنة الكعبة ، مركز الآلهة ومباءة الاوثان ، لا نجد مجادلة او محاجة او تعرضا لمبادىء الاسلام ونظمه ، ولا نجد كذلك اعتزازا بدينهم وتفضيلا له او تمسكا به ، اللهم الا ذلك الضرب من الاعتزاز بدين الآباء والتمسك بموروثات الاجداد ، وقد وضح ذلك عند شعراء البادية يوم كانوا على الشرك ، كمخاطبة كعب بن زهير وتعنيفه لاخيه بجير بن زهير الذي أسلم وترك دين أبيه وأمه ، فهو يكتب اليه رسالة يقول فيها[٣٨] :

الا أبلغنا عني بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك أبو بكر بكأس رويـة ... فأنهلك المأمون منها وعلكا
وفارقت أسباب الهدى وتبعته ... على أي شيء ويب غيرك دلكا
على مذهب لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولم تعرف عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل اما عثرت لعا لكا

او مثل قول امرأة العباس بن مرداس تعاتب زوجها حين قصد المدينة ليسلم وفارق اخوان الصفا والصنائع كما تقول[٣٩] :

لعمري لئن تابعت دين محمد ... وفارقت اخوان الصفا والصنائع
لبدلت تلك النفس ذلا بعزة ... غداة اختلاف المرهفات القواطع

وكذلك الامر في شعر الطائف ، فعلى الرغم من ان أمية بن أبي الصلت كان من الاحناف ، وكان أكثر شعره في ذكر الآخرة ، مع كل ذلك فقصيدته التي يبكي فيها أصحاب القليب من قريش ، ليس فيها شيء من ذكر الآخرة والدين ومحاجة المسلمين .

ويتضح الامر أكثر في شعر اليهود ، فهم أهل كتاب وتراث ديني قديم ، وان أحبارهم يحاجون الرسول ويسائلونه يريدون احراجه ، واذا قرأنا ما وصل من شعرهم في هذه الفترة ، لا نجد لتلك المحاجة أثرا ، ولا نجد اعتزازا بدينهم القديم ، ولا نجد كذلك مفاضلة بين الاسلام واليهودية .

فاذا كنا نعزو خلو شعر مكة والطائف من أثر الدين الى انهم لم

يكونوا متمسكين بدينهم عن عقيدة راسخة وايمان متين ، فهذا لا يكون سببا راجحا في تطبيقه على شعر اليهود . وفي اكبر الظن ان هؤلاء الذين حملوا راية العداء والحرب ضد الاسلام ، لم يجدوا الحجة الواضحة والدليل الراجح لدفع ما جاء به الاسلام او رده وتكذيبه فحاروا وضلوا وأسقط في أيديهم وسكتوا عن جداله ومحاججته ، واكتفوا له بالكيد اللئيم .

وهناك ظاهرة أخرى في هذا الشعر ـ شعر المشركين ـ هو انه لم يكن لتجمعه وحدة فكرية ، او وحدة مكانية ، فهو شعر قرى مختلفة في الثقافة والشاعرية والنظرة الى الدين ، واذا كان العداء للدين الاسلامي قد جمعهم ، فان الحماس ضد هذا الدين يختلف عند القرشيين الموتورين ، عنه عند الثقفيين او اليهود ، وعلى الرغم من كثرة الشعراء في هذه البيئات ، فان جهودهم ضد الاسلام كانت مبعثرة . ولعل لهذا ، ولانتصار الاسلام في فترة قصيرة ، كان خمول شعر المعارضة وتفرقه وقلته وضياعه .

واذا انتقلنا الى البادية ، نجد الامر يختلف كل الاختلاف ، ففي البادية شعر وافر غزير ، ولا يعنينا من أمر هذا الشعر الا ما كان فيه للاسلام أثر ، او لشعرائه صلة بالحياة الاسلامية ، فقد تأثر بعض شعراء البادية بالاسلام واتصلوا بحاضرة المسلمين .

والشعر هذا هو شعر الفحول من مثل العباس بن مرداس وكعب ابن زهير والنابغة الجعدي ولبيد بن ربيعة العامري وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وعبدة بن الطبيب ومزرد بن ضرار الغطفاني وغيرهم ، وكلهم شاعر مكثر مشهور ، ولم يكن فيهم من المغمورين المقلين الا بجير بن زهير . وهؤلاء الشعراء هم الذين ظهر للاسلام أثر واضح في شعرهم .

وكل هؤلاء الشعراء وغيرهم من الاعراب ، دخلوا الحياة الاسلامية بعد فترة الحرب بين المسلمين والمشركين او قبل نهايتها بقليل ، وقد شارك شعرهم في الحياة الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وكان

لهم أثر فعال في الفتوح الاسلامية في العراق والشام ، وقد قالوا شعرا متينا رائعا يتغنى بمجد الاسلام وانتصاره على دول الشرك من فرس وروم .

وبعد ، فهذه هي المؤشرات الهامة في الشعر الاسلامي في فترة النبوة ، عرضت فيها حال الشر وطبيعته ، وموقف الاسلام منه ، وبينت بيئاته واهم شعرائه . وفي الواقع ان الادب بعد ظهور الاسلام اصبح في كثرته فنا اسلاميا ، وان الادب في عصر الدولة الاموية هو أدب اسلامي نشأت أصوله وارتبطت جذوره بفترة صدر الاسلام . فشعر السياسة يحاجج بحجج قرآنية ، سواء أكان ذلك شعرا علويا أم خارجيا أم زبيريا . وشعر الغزل في البادية والحاضرة يستمد معانيه من تعاليم الاسلام ويتخلق بأخلاقه ويكرر عبارات اسلامية . وحتى الشعر الذي انصرف الى المديح والهجاء وهو شعر النقائض التي ثار غبارها بين جرير والفرزدق والاخطل والراعي ، استمد معانيه وصوره والفاظه من القرآن الكريم . واقرأ شعر جرير خاصة فستجده قد أفاد من القرآن الكريم فائدة كبيرة ، فهو يقتبس معانيه في حين ، ويضمن ألفاظه وعباراته في حين آخر ، وقد سار في حجاجه وجداله على ضوء المعاني الاسلامية وهداها .

ثم ان النقائض في العصر الاموي ما هي في حقيقتها الا صورة مكبرة مهولة لنقائض صدر الاسلام التي كانت قائمة بين المسلمين وخصومهم المشركين .

وعلى هذا فان الادب في العصر الاموي هو امتداد طبيعي للادب في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، وهو أدب اسلامي لفظا ومعنى ، روحا وأسلوبا وغاية . وارجو مخلصا ان يتنبه الادباء والكتاب الى الجانب الاسلامي في الادب قديما وحديثا ، وان يحلوه محله اللائق به . فالادب الاسلامي على مر عصوره ملحمة رائعة زاهية سجلت بطولات الاسلام وأمجاد المسلمين وحفظت عبقرية اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم .

الحواشـي :

(١) طبقات الشعراء ص ٢٢ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٨١ .
(٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢٢٢/١ .
(٤) العمـدة ٢٩/١ .
(٥) سورة الشعراء الايات ٢٢٤ ـ ٢٢٧ .
(٦) يس ٦٩ .
(٧) يوسف ٤٤ .
(٨) الصافات ٣٦ .
(٩) الطـور ٣٠ .
(١٠) الحاقـة ٤١ .
(١١) المزهـر ٢٩١/٢ .
(١٢) العقد الفريد ٢٩٤/٥ وزهر الاداب ٦٢/١ .
(١٣) العمدة ٣١/١ ـ ٣٢ ودلائل الاعجاز ص ١٣ واحياء علوم الدين ـ الغزالي ١٢٣/٣ .
(١٤) تهذيب ابن عساكر ١٠٥/٣ .
(١٥) تاريخ الطبري ٥٧٥/١ .
(١٦) الاغانـي ١٤٢/١٥ ـ ١٤٣ .
(١٧) الاغاني ٢٨/١٥ .
(١٨) الاغاني ٢٨/١٥ ط ساسى ، والسيرة النبويه ٢٦١/٢ وانظـر معجـم الشعراء ص ٢٢٩ .
(١٩) الاغاني ٢٨/١٥ .
(٢٠) العقد الفريد ٢٨٢/٥ ـ ٢٨٣ .
(٢١) المصدر السابق .
(٢٢) العمدة ٢٩/١ وانظر حول رأي الرسول في الشعر ايضا دلائـل الاعجاز ص ١٣ ـ ٢٠ .
(٢٣) ادب الدنيا والدين ص ١٧٨ وحلية الاولياء ٢٢٤/٣ وكذلك زهر الاداب ٨/١ والمزهر ٢٩١/٢ والتاج (حكم) .
(٢٤) العمدة ٢٧/١ ودلائل الاعجاز ص ٢٠ .
(٢٥) الشعر والشعراء ٢٨٩/١ والاغاني ٩/٥ ط دار الكتب والعقـد الفريد ٢٧٦/٥ ودلائل الاعجاز ص ١٨ .
(٢٦) السيرة النبوية ١٣٣/٢ و ١٣٦ .
(٢٧) ديوان عنترة ص ٣٠٨ . وسورة النور ٣٠ .

(٢٨) الاغاني ٨/٢٤٣ ط الدار .
(٢٩) صحيح مسلم ٤/١٧٦٨ .
(٣٠) الاغاني ٣/١١٧ ط الدار والعقد الفريد ٥/٢٧٥ .
(٣١) الفائق في غريب الحديث والاثر ٢/٣٣٩ .
(٣٢) المصدر السابق ١/٢٧٥ .
(٣٣) طبقات ابن سعد ٢/٩٥ ـ ٩٦ .
(٣٤) ينظر تفصيل ذلك في كتابنا : الاسلام والشعر ص ٧٧ ـ ١٢٨ .
(٣٥) السيرة النبوية ٢/٤٧٩ ـ ٤٨٠ والحماسة الشجرية ص ١٦٤ ومغازى الرسول ص ٣٣٩ والاستيعاب ١/٢٢٣ .
(٣٦) ينظر كتاب : شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ص ١٢٣ وما بعدها .
(٣٧) السيرة النبوية ٢/٤٢ والعمدة ١/٥٦ ودلائل الاعجاز ص ١٩ وزهر الاداب ١/٣٤ .
(٣٨) الاغاني ١٥/١٤٢ ط ساسى وانظر السيرة النبوية ٢/٥٠١ وديوان كعب بن زهير ص ٣ ـ ٤ .
(٣٩) الاغاني ١٤/٣٠٧ ط الدار .

مصادر البحث

احياء علوم الدين ـ الغزالي : ابو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ) .
ط الحلبي . مصر ١٩٣٩ .

الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ ابن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ) .
ط حيدراباد . الهند ١٣١٨ هـ .

الاسلام والشعر ـ يحيى الجبوري
ط مكتبة النهضة . بغداد ١٩٦٤ م .

الاغاني ـ ابو الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) .
ط ساسى وط دار الكتب المصرية حسب ما يشار في الهامش.

تاج العروس ـ الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ) .
ط الخيرية . مصر ١٣٠٦ هـ .

تاريخ اداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان .
ط دار الهلال ١٩٥٧ م .

تاريخ الطبري ـ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) .
ط الاستقامة مصر ١٣٥٧ هـ .

حماسة ان الشجري ـ ابن الشجري : هبة الله بن علي الحسني (ت ٥٤٢ هـ) . ط دمشق ١٩٧٠ م .

دلائل الاعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ) .
ط رشيد رضا . مط المنار ١٣٦٦ هـ .
ديوان عنترة ـ عنترة بن شداد العبسي .
ط محمد سعيد مولوي . بيروت ١٩٧٠ م .
ديوان كعب بن زهير ـ كعب بن زهير بن ابي سلمى .
ط دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٥٤ م .
زهر الاداب ـ الحصري . ابراهيم بن علي (ت ٤٣٥ هـ) .
ط زكي مبارك . مصر .
السيرة النبوية ـ عبدالملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) .
ط ٢ السقا واخرين . مصر ١٩٥٥ م .
الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) .
ط احمد شاكر . دار المعارف مصر ١٩٦٦ م .
شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ـ يحيى الجبوري
ط مكتبة النهضة . بغداد ١٩٦٤ م .
صحيح مسلم ـ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) .
ط محمد فؤاد عبدالباقي . القاهرة ١٩٥٥ م .
طبقات الشعراء ـ محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١ هـ) .
ط محمود شاكر . دار المعارف مصر ١٩٥٢ م .
الطبقات الكبير ـ ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ).
ط سخو . ليدن ١٣٢٢ هـ .
العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ) .
ط احمد امين والابياري وهارون . مصر ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ م .
العمدة ـ ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) .
ط ٢ السعادة . مصر ١٩٥٥ م .
الفائق في غريب الحديث والاثر ـ الزمخشري : محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) . ط حيدر اباد الهند .
المزهر ـ السيوطي : عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ) .
ط السعادة . مصر ١٣٢٥ هـ .
مغازي رسول الله ـ الواقدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ) .
ط السعادة . مصر ١٣٦٧ هـ .
معجم الشعراء ـ المرزباني : محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ) .
ط عبدالستار فراج . مصر ١٩٦٠ م .
مقدمة بن خلدون ـ عبدالرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) .
ط ٣ نهضة مصر .